مجلة الباحث – المدرسة العليا للأساتذة الشيخ العلامة مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 356–374	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

الرّواية الجزائرية بين الهويّة الوطنية ولغة المستعمِر

–الانطباع الأخير نموذجا–

THE ALGERIAN NOVEL BETWEEN NATIONAL IDENTITY AND THE LANGUAGE OF THE COLONIZER: THE LAST IMPRESSION AS A MODEL

إبراهيم قرساس

جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر(2)، الجزائر

brahim.guerssas@univ-alger2.dz

وحيد بن بوعزيز

جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر(2)، الجزائر

ouahid.benbouaziz@univ-alger2.dz

تاريخ الإرسال: 2025/04/23 تاريخ القبول: 2026/09/04 تاريخ النشر : 2026/09/30

المؤلف المراسل: إبراهيم قرساس، brahim.guerssas@univ-alger2.dz

ملخص:

يعتبر الأدب وسيلة فعّالة للتّحكم في اللّغة، لذلك تحاول مختلف الإمبراطوريات اللّغوية عبر العالم السّيطرة على اللّغة، وهذا ما سعى الاستعمار الفرنسي تطبيقه في الجزائر، فالسّياسة اللّغوية والتّعليمية التي اختطّها قائمة بالأساس على فرنسة المجتمع بمختلف مكوّناته، وتحييد اللّغة العربية باعتبارها المنافس القوي والوحيد للفرنسية.

وفي هذا الجو الهووي المقموع، ظهرت الرّواية الجزائرية المكتوبة باللّغة الفرنسية، لتطرح تساؤلات محدّدة وصريحة، عن الهويّة الوطنية وعن مفهوم الوطن، لتؤكّد من خلال هذه النّصوص أنّ التّلميذ تعلّم الدّرس جيدا وفهمه، وهو الآن ينتفض ضدّ معلّمه، هذا الشّعار رفعه مالك حدّاد عاليا، متّخذا من اللّغة الفرنسية سلاحا يميط به اللّثام عن حقيقة فرنسا كاشفا زيف ادّعاءاتها أمام العالم، مجسدا حقيقة الظّلم والعدوان الذي يتعرّض له الشّعب الجزائري، ومقدّما مفهوما جديدا للدّفاع عن الحرّية السّليبة.

الكلمات المفتاحية:

الأدب؛ الاستعمار؛ الرّواية؛ اللّغة؛ الهويّة.

Abstract:

Literature is considered an effective means of controlling language. Therefore, various linguistic empires across the world attempt to dominate it. This is what French colonialism sought to implement in Algeria. The linguistic and educational policy it established was primarily based on the Frenchification of society, with all its components, and the neutralization of Arabic as the sole and powerful competitor to French.

In this repressed identity atmosphere , the Algerian novel which was written in French was emerged raising specific and explicit questions about national identity and the concept of homeland. Through these texts, it affirms that the student has learned and understood the lesson well, and is now rebelling against his teacher. This slogan was raised highly by Malek Haddad, who used the French language as a weapon to unveil the truth about France, revealing the falsity of its claims to the world. He embodied the reality of the injustice and aggression to which the Algerian people were subjected, and presented a new concept for defending stolen freedom

Keywords: *Colonialism ; Identity ;Language ; Literature ; Novel*

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 356–374 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

1. مقدّمة:

"بما أنّ اللّغة ليست أداة أدبية مستقلّة ولكن وسيلة سياسية دائما"[1] تعدّ السّياسة اللّغوية والتّعليمية التي اختطّها الاستعمار الفرنسي بالجزائر، قائمة بالأساس على فرنسة المجتمع بمختلف مكوّناته، وتحييد اللّغة العربية باعتبارها المنافس القوي والوحيد للفرنسية، فالعربية لغة الإسلام والثّقافة والقرآن الكريم الذي يتعامل معه الجزائريون باحترام كبير، وهي تعتبر أيضا الجسر المتين الواصل بين المغرب والمشرق الإسلاميين؛ وحتّى يحقّق الاستعمار الفرنسي سيطرته الاقتصادية والسّياسية والعسكرية ويبسط هيمنته التّامة بالتّبعية المطلقة للشّعب الجزائري له "فقد كانت مستعمرة الجزائر الفرنسية وراء البحار فريدة من نوعها، من حيث أنّها كانت تعدّ توسّعا إداريا لفرنسا، لا مستعمرة لها"[2]، لأجل ذلك سعى إلى إيجاد صدع بين مكوّنات الشّعب الواحد بزرع بذور الفتنة والشّقاق، ومن جهة أخرى حاول قطع روابط التّواصل بينه وبين باقي شعوب العالم الإسلامي، حتّى وصل به الأمر لتعطيل فريضة الحج ومراقبة الهجرة إلى المشرق.

وقد تبنى الاستعمار الفرنسي سياسة خبيثة في محاربته للّغة العربية والدّين الإسلامي، أين قام بالاستيلاء على الأوقاف، فغلق المساجد وحوّلها إلى ثكنات لجيشه ومخازن للحبوب وحتّى اسطبلات، كما أغلق الكتاتيب والزّوايا، وأدخل الشّعب الجزائري في نفق مظلم تحوطه الأمّية والجهل؛ وأخطر محاولاته سعيه تفكيك اللّحمة الوطنية (سياسة فرّق تسد)، في محاولة لخلق شرخ بين عنصري الشّعب العربي والأمازيغي، هذا الأخير الذي يشهد التّاريخ تعلّقه المتين بالدّين الإسلامي ولغة القرآن جيلا بعد جيل "أقبل البربر على الإسلام يعتنقونه، وكانوا قد ذاقوا مرارة ظلم الفاتحين للبلاد قبل الإسلام، فالإسلام كان لهم فرصة للخلاص من الإهانة والاستعباد، والإسلام يدعو إلى المساواة والإخاء بين المسلمين وإلى الحرّية والشّرف، وإسلام الجزائريين كان له أثر عظيم في المجتمع، من حيث الدّين من جهة، ومن حيث اللّغة من جهة أخرى"[3]؛ فالأمازيغ اعتنقوا الإسلام طواعية كطريق للتّحرّر والمساواة، مع الحفاظ على هويّتهم وتقاليدهم العريقة، لتبقى اللّحمة الوطنية عصية على التّمزيق.

فتأسّست السّياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر على تفكيك الانسجام المجتمعي عبر هندسة إثنية، قائمة على سردية أيديولوجية وظّفت التّباينات الاجتماعية والدّينية المحدودة، لاختلاق تراتبية عرقية تزعم تفوّق الأمازيغ وقابليتهم للاندماج بالمنظومة الغربية، في مقابل وصم المكوّن العربي باللاّتونية لشرعنة سياسة "فرّق تسد" وزرع الشّقاق المفتعل"بأنّ القبائل متفوّقون على العرب؛.... فاستخدم الفرنسيون الاختلافات الاجتماعية والتّباينات الدّينية بين الفريقين لخلق صورة جّيدة للقبائل، وأخرى سيّئة للعرب، واستنتجوا منها أنّ القبائل ملائمون للاندماج بالفرنسيين أكثر من العرب"[4]، لكن البنية الدّيموغرافية والرّوحية للجزائر تدحض هذا الطّرح التفكيكي؛ إذ يتوزّع المجتمع عبر جغرافية متكاملة تضم شاوية الأوراس، وقبائل جرجرة، ومزاب الصحراء الشّمالية، وطوارق الجنوب،

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 356–374 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

مشكلين بذلك نسيجا بشريا متجانسا يرتكز على الهويّة الإسلامية السّنية والمذهب الفقهي المالكي، باستثناء المذهب الإباضي الذي يتميز به أهل مزاب في إطار التّعدّدية الفكرية المنسجمة.

ففي سياق الهندسة السّوسيولوجية لتفكيك هذا التّماسك، عمدت الدّوائر الكولونيالية منذ عام 1857 إلى ترسيخ هذه السّردية المضللة (الأسطورة القبائلية)، موظّفة استراتيجية مؤسّساتية تلازمية، جمعت بين التّغريب التّربوي للمدرسة الفرنسية، والاختراق الأيديولوجي للبعثات التّنصيرية، التي تحوّلت بذراعها التّعليمي والكنسي إلى أداة تخدم المصالح الإمبريالية، أين تجاوز هذا التّحالف الطّابع الوظيفي إلى تبني مترع صليبي، يرى في احتلال الجزائر حربا مقدّسة لاستعادة شمال إفريقيا إلى الحاضنة المسيحية؛ وهو ما تجسّد رمزيا في صورة وضع حجر أساس كنيسة (سطاوالي) في 14 سبتمبر 1843، حيث تلاحم السّيف والصليب بتصدّر الجنرال (بيجو) والمونسنيور (ديبوش) مشهد التّدشين "وقد وضع فوق مطرح مفروش بالقذائف الملتقطة من ساحة المعركة في أسطاوالي، أي في نفس المكان الذي أحرز فيه الجيش الفرنسي منذ 13 سنة خلت على النّصر الذي مهّد لسقوط العاصمة الجزائرية بيد الفرنسيين"[5]، فالمنظومة الكولونيالية لم تستهدف الاستتراف الاقتصادي والمادي فحسب، بل رمت إلى الاستلاب الهويّاتي الكامل وابتلاع الشّخصية الوطنية عبر فرض مركزية ثقافية غربية، جعلت من التّغريب والفرنسة شرطين إلزاميين للاندماج المدني والحداثي.

2. حرب اللّغة وإعادة صياغة الذّات الجزائرية

"بيد أنّني كنت أود بشدّة لو أنّ الشّيخ ابن باديس
يقصص عليها بالعربية
ما أنشده أنا بالفرنسية"[6]

مثّل الإنزال العسكري الفرنسي بالجزائر عام 1830 نقطة تحوّل جيوسياسية فارقة في شمال إفريقيا؛ إذ أطلق دينامية توسّعية كولونيالية امتدّت شرقا وغربا لقمع المقاومات المحلّية، وتثبيت أركان الإدارة الاستعمارية، فمع تراجع الزّخم الدّفاعي للمقاومة الوطنية في الغرب، إثر انتهاء دولة الأمير عبد القادر في 23 ديسمبر 1847، دخل المشهد الجيوسياسي مرحلة الاستقرار الهيكلي لصالح باريس؛ ففي "تشرين الثّاني/ نوفمبر سنة 1848، جرى الإعلان رسميا أنّ المستعمرة باتت جزءا من فرنسا"[7]، فأظهر المحتلّون عداءهم الصّريح لكلّ مقوّمات هويّة الشّعب الجزائري (الدّينية، اللّغوية، الثّقافية...)، فلم يكن بمقدور فرنسا أن تحافظ على وضعيتها دون أن تجعل من لغتها اللّغة الأولى، في الإدارة والتّعليم، يقول الدّوق دو روفيقو قائد جيش الاحتلال الفرنسي"إنّ الجزائر لن تكون فرنسية فعلا، إلّا إذا أصبحت فيها لغتنا الفرنسية هي السّيّدة، وانتشرت فيها الفنون والعلوم التي شرّفت بلادنا"[8]، فكان للّغة الفرنسية وقيمها الهوويّة فرصة التّسلّل شيئا فشيئا إلى مجتمع الأهالي والتّحكّم فيه في نهاية المطاف.

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 356–374	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

فانتهجت السّلطات الاستعمارية استراتيجية ممنهجة لفرض الفرنسة، وتعميم ثقافتها كأداة للهيمنة الأيديولوجية، مصحوبة بتجريف الفضاء الثّقافي العربي الإسلامي من مقوّماته المقاومة، حيث عمد الخطاب الكولونيالي إلى وصم الهويّة الأصيلة بالتّخلّف والانحطاط، مدفوعا بممارسات الازدراء والسّخرية الممنهجة التي كرّسها (الأقدام السّوداء) عبر عقود؛ ممّا ولّد عقدة نقص هويّاتية تراكمية لدى فئات من المجتمع تجاه اللّغة والنّمط الفرنسي "والاستهزاء لا يقلّ فعالية كطريقة في احتفاظ المرء بالمسافة بينه وبين الطّبقات الدّنيا في السّلّم الاجتماعي، والواقع أنّه بالنّسبة للثّقافة الشّعبية المعبّرة عن العلاقة بين الجزائري والأوربي، فإنّ العربي هو دائما موضوع للضّحك"[9]، فاللّغة الفرنسية في الجزائر لم تكن مجرّد أداة للتّواصل أو خيارا لسانيا عابرا، بل تحوّلت إلى حالة نفسية، وثقافية، واقتصادية معقّدة، فهو لا يعبّر عن صراعات السّيطرة التّاريخية فحسب، بل يمثّل الأداة المركزية التي يُصارع بها ومن أجلها للاستحواذ على النّفوذ وتوجيه الوعي الجمعي "والتّاريخ ما فتئ يعلّمنا ذلك، ليس فقط هو ما يترجم الصّراعات أو أنظمة السّيطرة، لكنّه ما نصارع من أجله به، وهو السّلطة التي نحاول الاستيلاء عليها"[10]، فأورث هذا التّنميط الأيديولوجي تبعية ثقافية ممتدّة، تجسّدت في عجز فئات من النّخبة عن التّحرّر من سطوة اللّغة الفرنسية، والوقوع تحت تأثير هيمنتها النّفسية والاجتماعية التي استمرت كإرث استعماري عابر للأجيال.

وتُمثّل اللّغة السّلاح الاستراتيجي الأبرز في إدارة الصّراعات الحضارية الحديثة؛ وهو ما وعته الإدارة الفرنسية مبكرا بجعلها المدرسة الكولونيالية أداة للهيمنة والاصطفاء الثّقافي في الجزائر، مع العلم أنّ هذه المنظومة التّعليمية لم تأتِ كرسالة حضارية بريئة، بل كانت آلية غزو روحي وتزييف للوعي الجمعي، تلازمت فيها السّطوة اللّغوية مع القوّة العسكرية، لتحقيق الهيمنة المادية والمعنوية وضمان ديمومة الاحتلال، وقد نجحت هذه الهندسة الأيديولوجية في إنتاج نخبة مفرنسة تبنّت أطروحة الاندماج، لتتحوّل تاريخيا إلى ظهير ثقافي يربط الفكر والوعي الجزائري بالمركزية الغربية "هذه السّياسة المشرعنة تحديدا بواسطة الخطابات التّمدينية، كانت تتطلّب تفكيك بنية المعايير السوسيوثقافية التّقليدية للمجتمع الأهلي، المترسّخة في الدّين الإسلامي الحاضن لها، لأجل السّعي إلى تعويضها بإطار ذهني مواتٍ لهيمنة فرنسية"[11]، في محاولة منها لابتلاع الجزائر برمّتها كما تفعل الحركة الصّهيونية بحاضرنا الآن مع فلسطين وشعبها، فهذه النّخبة المثقّفة التي رعاها على عينه رفعت لواء الاندماج والمساواة مع الفرنسيين، وسعت لجعل الجزائر قطعة من فرنسا بأتمّ معنى الكلمة.

ولترسيخ هيمنتها الشّاملة، لم تكتفِ الكولونيالية بالمنظومة التّعليمية، بل عمدت إلى توظيف التّاريخ وتسييس علم الآثار عبر إحياء الأطروحة الفرانكو–رومانية؛ حيث جرى استدعاء الإرث اللّاتيني القديم لشمال إفريقيا، وربطه قسريا بفرنسا بوصفها الوريث الشرعي لروما، حيث هدفت هذه المقاربة الإيديولوجية إلى شرعنة العنف المفرط والوجود العسكري ضدّ الجزائريين، وتصوير الاحتلال كعودة حضارية طبيعية وليس كغزو أجنبي طارئ "كان على الفرنسيين أن يقاتلوا ضدّ همجية المسلمين كما فعل أسلافهم لأجل الإصلاح والحضارة في إفريقيا القديمة"[12]،

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 356–374 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

فاستدعاء النموذج الروماني أورث شعورا بالانتماء البيئي والثّقافي لدى المستوطن الفرنسي، مخففا من وطأة الاغتراب النّفسي في الوسط الجديد، وصوّر الأراضي المحتلّة كامتداد طبيعي للهويّة اللّاتينية؛ وهو ما تُرجم عمليا في عهد الحاكم العام الجنرال (كافينياك) الذي أولى عناية فائقة بجمع "كلّ الشّواهد المتّصلة بالاحتلال الرّوماني مهما كانت صغيرة، لكي يقتفي الأثر الذي تركه هؤلاء الفاتحون المثاليون، ..فاهتمّ اهتماما كبيرا بالحفريات، فأمر بإجرائها لكي يستخرج الآثار التي تبرهن للبدو بأنّ الأوربيين لهم حقوق قديمة في امتلاك البلاد"[13]، فاستخراج الآثار الرّومانية لم يكن نشاطا علميا مجرّدا، بل كان عملية سطو أيديولوجي تهدف إلى إعادة هندسة الذّاكرة الجماعية لـــلأرض.

كما انخرط المهندسون الكولونياليون في تكريس البنية التّحتية للمستعمرة، من خلال إسقاط الهويّة البصرية الفرنسية على المنشآت والمباني العمومية، وتأثيث الفضاء العام بالتّماثيل والنّصب التّذكارية لقادة الغزو، لتبدو كرموز مادية دائمة تختزل جبروت القوّة الإمبريالية، وتفرض هيمنتها البصرية والنّفسية على الوعي اليومي للجزائريين "تمثال الجنرال الذي احتلّ البلاد، تمثال المهندس الذي بنى الجسر، عالم واثق من نفسه، عالم يسحق بصخوره الظّهور التي قشّرت جلودها السّياط، هذا هو عالم المستعمرات"[14]، كما وظّف الاستعمار الأدب الإمبراطوري لشرعنة وجوده عبر تمجيد وبطولات قادته العسكريين (كبيجو، وكلوزيل، ومكماهون)؛ لتكريس سردية أيديولوجية واعية توهم السكان الأصليين بأنّ رحيل المستوطن الأوروبي يعني ارتدادهم الحتمي نحو الهمجية والوحشية "فالاستعمار لم يكن يحاول إذن أن يجعل السّكان الأصليين ينظرون إليه نظرتهم إلى أمٍّ تترفّق بهم وتعطف عليهم وتحاول أن تحمي أطفالها من بيئة ضارّة، بل نظرتهم إلى أمٍّ تعمل بغير انقطاع على أن تمنع طفلا فاسد التّكوين من أن يؤذي نفسه وأن يستطيع الانتحار وأن ينجرف مع غرائزه الخبيثة"[15]، فكانت حكايات الغزو تمكّن من بيان قيمة رجالها الشّجعان وأمّتهم المجيدة ورسالتهم التّنويرية التي جاؤوا بها لانتشال الجزائريين من التّخلّف والضّياع.

وتتكامل هذه المخطّطات مع التّوظيف السّياسي للاختيارات اللّغوية؛ إذ تتدخل الأيديولوجيات والنّزاعات العرقية بقوّة في توجيهها، عبر هندسة سياسات لسانية تغذي النّزعات الإقليمية الضّيّقة لتسهيل اختراق الدّول النّاشئة واستغلالها، حيث تعمل هذه الاستراتيجية على تحوير طبيعة المواجهة؛ فبدلا من مقاومة الهيمنة الفرانكوفونية الموروثة، يُفتعل صراع داخلي بديل بين اللّغة الوطنية واللّغات (اللّهجات) المحلّية المكوّنة للهويّة، لتظلّ الفرنسية في موقع المهيمن والمراقب لهذا الشّقاق المجتمعي، وهو ما وثّقه اللّغوي الاجتماعي الأمريكي (جوشوا فيشمان– Joshua Fishman)في دراسته الصادرة عام 1968 مبرزا التّلازم البنيوي بين التّعدّد اللّغوي الحاد ومؤشّرات التّخلّف الاقتصادي "أنّ الدّول المنسجمة لغويا هي التي يزداد دخل الفرد فيها ارتفاعا، بينما ينخفض هذا الدّخل بشكل تدريجي في الدّول غير المنسجمة لغويا(أي الدّول التي تتكاثر فيها اللّغات)"[16]، وهو ما يؤكّد الدّور المحوري

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 356–374	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

للانسجام اللّغوي في تحقيق التّنمية الشّاملة والبشرية؛ حيث يضمن التّماسك الاجتماعي المعزّز للقوة المعنوية للمجتمع، ويسهم في بناء مجتمع المعرفة المالك للوعي والتّحكم التّقني، وفي هذا السّياق، يربط الفيلسوف واللّغوي الألماني (فلوريان كولماس– Florian Coulmas) بين توحيد اللّغة داخل المجتمع، ومستويات التّطور الاقتصادي والتّنمية المستدامة، مؤكّدا أنّ اللّغة المشتركة تمثّل ركيزة بنيوية لا غنى عنها لتحقيق التّطور والارتقاء الاجتماعي "إنّ البلاد المجزّأة لغويا بشكل كبير بلاد فقيرة دائما"[17]، فلا يمكن لمجتمع من المجتمعات أن يحافظ على ثقافته وينمّيها، ويطوّرها بغير لغته الوطنية.

إنّ الدّفاع المبرّر عن أيّ لغة وثقافة عالمية لا غبار عليه، لكن الاعتراض يكمن في تلك النّخب التي توجّه سهام نقدها صوب كلّ مدافع عن هويّته الوطنية، إذ يسعى هؤلاء إلى وصم الانتماء القومي بالانغلاق والتّخلّف، مستندين إلى قراءة مشوّهة للانفتاح الحضاري، تختزل الآخر في المركزية الفرنسية الاستعمارية، وتجرّد المجتمع من حقه المشروع في حماية خصوصيته الثّقافية، بينما في المقابل، لا تخفي فرنسا الرّسمية مطامعها؛ حيث أعلنت مرارا أنّ لغتها ليست مجرّد أداة تواصل، بل مشروع له امتداداته السّياسية والاقتصادية والاجتماعية المهيمنة، وهو ما يجسّده تصريح الرّئيس الفرنسي (فرانسوا ميتيران– François Mitterrand) بقوله "إنّ الفرنكوفونية ليست هي فقط اللّغة الفرنسية، لا يمكن ولا ينبغي فرض سياسة لغوية، إذا لم نتوصل إلى الاقتناع بأنّ الانتماء إلى العالم الفرنكوفوني سياسيا واقتصاديا وثقافيا يمثّل إضافة، فإنّنا سنكون قد فشلنا في العمل الذي بدأناه منذ عدّة سنوات"[18]، يؤكّد هذا الطّرح الصّادر عن رأس السّلطة الفرنسية التوجّه الإمبراطوري للفرنكوفونية كأداة لإعادة إنتاج الهيمنة، وبسط النّفوذ على شعوب المستعمرات السّابقة؛ وبذلك يتحوّل هذا الكيان الثّقافي إلى آلية مكمّلة، لتثبيت الوجود اللّغوي الذي فُرض تاريخيا بقوّة السّلاح، وجرى التّمكين له حديثا عبر قنوات القوّة النّاعمة لضمان استدامة التّبعية "إنّ الفكرة الكولونيالية قديمة قدم المشروع الاستعماري الفرنسي في بلادنا العربية ومحايّثة له، بمثل ما هي باقية، وستبقى ما بقي في جعبة فرنسا بصيص من التّطلّع إلى مقاربة عالمنا بعين كولونيالية، لا ترى في مجتمعنا غير أملاك استعمارية تقدّم لها الجزية الثّقافية عن حيازتها حقا في الاستقلال الوطني"[19]، ففرنسا تريد الأرض وما تحتها وما فوقها ملكا بالمطلق لها.

بيد أنّ الوعي الجمعي الجزائري يميّز بدقة بين الفرنسية كأداة للتّواصل المعرفي، والفرنسية كمشروع أيديولوجي يسعى لإبقاء البلاد في الفلك الاستعماري وضمان استدامة الهيمنة؛ إذ يدرك المثقّف الوطني الفارق الحاسم بين "الفرنسية كلغة وثقافة، والفرنكوفونية كإيديولوجيا"[20]، فقد عاش مثقّفو السّتينات تمزقا وجدانيا بين لسان موروث بالإكراه وانتماء وطني أصيل؛ ممّا دفع النّخبة الوطنية لمقاومة هذا الاستلاب بإتقان العربية وتوطينها، محوّلين المواجهة من جبهة المحتل الخارجي إلى صراع سياسي مباشر ضدّ التّبعية والكومبرادور المحلي الموالين لفرنسا "من خلال حوافز عدّة، من قبيل المنح العلمية والجوائز الثّقافية، وتمويل نشر إنتاجاتهم المكتوبة بالفرنسية، أو تمويل

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 356–374	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

ندوات ثقافية تلتقي أهدافها مع أهداف المؤسّسة الفرنكوفونية"[21]، هذه النّخبة المفرنسة تبنّت الاندماج، وفاخرت بجهل العربية دون رغبة في تعلّمها لغايات أيديولوجية مضمرة، وهو ما يثبته تغييب أسماء (كمالك حداد، ومحمد ديب، ومالك بن نبي..) زيف الحياد الفرانكوفوني؛ إذ عُزلت هذه القامات الفكرية رغم إبداعها بالفرنسية، بسبب رفضها تمجيد الإرث الكولونيالي أو احتقار الهويّة الوطنية والعربية "ورشيد بوجدرة يعتبر المثل الحيُّ بيننا اليوم، فقد اختار أن يكتب بلغته العربية، لغة أمّته وشعبه بدلا من الفرنسية التي كتب بها روايات كثيرة نالت رضا الفرنسيين ودعاة الفرنكوفونية في المغرب العربي عامّة وفي الجزائر خاصّة، ولكنّه الآن أصبح لا يذكر إلّا إذا جاء الحديث عنه عرضا، بل وحاربوه علانية، وقد لاحظ هو أنّ حملة إعلامية شُنّت عليه لأنّه تحوّل إلى العربية"[22]، ويعكس هذا التّباين انقسام كتّاب الفرنسية بين تيارين: أحدهما يوظّفها كمنصة للتّحرّر من القيود وإعادة إنتاج الأطروحات الاستشراقية، وآخر يعيش أزمة اغتراب وتمزّق وجداني بين واقع محلي معاش ولسان فرنسي مفروض.

ولم يكن مستغربا وفاء مالك حداد للجزائر؛ فقد نشأ في أحضان الحركة الوطنية ووظّف اللّسان الفرنسي كأداة للمقاومة الكولونيالية، وهو القائل (أكتب بالفرنسية لأقول للفرنسيين إني لست فرنسيا)، وإذ كانت فرنسيته اضطرارا لجهله العربية كتابة، فقد ظلّ متمسكا بالثّقافة العربية الإسلامية باعتبارها هويّته الحقيقية "إنّ مالك حدّاد الذي كتب بالفرنسية وله مكانة أدبية مرموقة، عبّر بكلّ صدق أنّ الكتابة بالفرنسية بالنّسبة إليه، معتبرا إيّاها مشابهة لحالة النّفي، بل إنّه أكّد أنّه نفي مزدوج، مضيفا إلى ذلك مقولة أخرى وهي أنّ الفرنسية منفى قرّائي أيضا"[23]، فاللّغة عنده ليست مجرّد ساعي بريد حيادي، بل حمولة فكرية وتاريخية وشعورية.

لقد أجبر الحرمان الاستعماري الأديب مالك حداد على إتقان الفرنسية وحدها وعزله عن لغته الأم؛ ممّا فجّر داخله أزمة اغتراب ومنفى وجداني حاد بعد الاستقلال، لعجزه كأديب عن مخاطبة أبناء وطنه بلسانهم؛ الأمر الذي دفعه إلى مقاطعة الإبداع الأدبي وإعلان صمته الشهير تعبيرا عن وجعه اللّغوي وهويّته المغتصبة "قرّرت أن أصمت دون أن أحُس بأيّ أسى أو بأيّ مرارة وأنا أضع قلمي"[24]، مقتنعا بأنّ المجتمع الجزائري سينجب رجالا أحرارا يملكون ناصية اللّغة العربية، وسيبدعون نصوصا تضاهي بل وتتفوّق عمّا كتب باللّغة الفرنسية، ويسجّل تأسّفه تجاه من ينتصرون بل ويتعصّبون للكتابة بالفرنسية "أنا مقتنع تماما بأنّ التّمزّق الذي حدث لنا في المغرب العربي، سواء وعينا ذلك أم لم نع، وهذه التّجزئة إلى شعوب وجماهير.. إلى جزائريين وتونسيين، مراكشيين، إنّما يعود كلّ ذلك إلى اللّغة الفرنسية فهذا هو الواقع"[25]، إنّها نظرة أديب مشبّع بالرّوح الوطنية، يرى أنّ التّفكّك والفرقة بين أبناء الأمّة الواحدة منطلقه اللّغة ليُختتم بالهويّة الثّقافية.

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 356–374 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

3. صراع الهويّات في رواية –الانطباع الأخير لمالك حدّاد–

"سوف نهجر المنفى، سوف تستعيد النّباتات المقتلعة حدائقها، وفي البيت الذي سوف نرتّبه ونعيد ترتيبه، سيكون لكلّ فرد فينا، كلٌّ حسب تفانيه في خدمة الآخر، مكان له، سوف نزور البقاع المهجورة، النيران والجنّات التي حرمنا منها، تلك الأماكن العالية في ذاكرتي وخافقي، والتي تبرّر حنيننا"[26]

وُلد الشاعر والرّوائي والصّحفي الجزائري مالك حدّاد في الخامس من شهر جويلية سنة 1927 بمدينة الجسور قسنطينة بالشّرق الجزائري، لأب أمازيغي يشتغل بالتّدريس هو سليمان حدّاد، وهناك عاش طفولته وتلقّى تعليمه، اشتغل مالك بالتّعليم لفترة ليست بالطّويلة، ثم سافر بعدها إلى فرنسا حيث التحق بكلّية الحقوق بمدينة أكس أون بروفانس، لكنّه لم يكمل دراسته وهجرها سنة اندلاع الثورة 1954، منخرطا بعدها في النّضال السّياسي إلى جانب الكتابة الأدبية التي افتتحها سنة 1956 بديوان (الشّقاء في خطر)، وفي 1958 نشر روايته الأولى (الانطباع الأخير)، كما نشر في نفس السّنة أيضا روايته (سأهبك غزالة)، وفي سنة 1960 أصدر رواية (رصيف الأزهار لم يعد يجيب)، لينشر في السّنة الموالية 1961 روايته الأخيرة (التّلميذ والدّرس)، كما أصدر في السّنة نفسها ديوانه الشّعري (أنصت.. وسأناديك)، وكتابا آخر حمل عنوان مقال شهير له (الأصفار تدور حول نفسها) والذي كان بمثابة بيان يحمل موقفه من الكتابة والهويّة، مؤكّدا فيه أنّ الكتّاب الجزائريين وإن كتبوا بالفرنسية، فإنّهم كتبوا بروح جزائرية، منبِّها إلى الفروقات الثّقافية والحضارية بين اللّغة العربية واللّغة الفرنسية، وبعد الاستقلال عاد مالك حدّاد إلى الجزائر، إلى مسقط رأسه قسنطينة أين أشرف على القسم الثّقافي بالجريدة اليومية التي كانت تصدر بها (جريدة النّصر)، ثمّ انتقل إلى الجزائر العاصمة وتولّى الإشراف على المجلّة التي كانت ترعى المواهب الأدبية في الجزائر "مجلة آمال"، واضطلع بعديد من المسؤوليات في وزارة الثّقافة والإعلام، وكان أوّل أمين عام لاتّحاد الكتّاب الجزائريين.

تُوفيّ مالك حدّاد في الثّاني من شهر جوان سنة 1978 تاركا النّوافذ مُشرعة على جنازة الميّت الذي مات، وصوته يرن في كلّ الفضاء الجزائري "تفصلني اللّغة الفرنسية عن موطني، أكثر ممّا يفعله بِيَ البحر الأبيض المتوسط، وبمجرّد أن أهمّ بالكتابة بالعربية، يبزغ حاجز رغما عني بيني وبين قرّائي، الأمّية"[27]، ويكاد القارئ يسمعه وهو يردّد بحروف نار الثّورة الجزائرية:

"فجّروا، فجّروا الجسور
حتّى نرقص أخيرا
في أنحاء العالم الأربع
أنصت، وسأناديك.
كان ينادي على الحرّية"[28].

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 356–374	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

تزامن اندلاع الثّورة التّحريرية (1954-1962) مع وجود مالك حداد في فرنسا، لينعكس تمزّقه الوجداني بين ولائه الوطني ومنفاه الباريسي على أبطال رواياته الأربع (التّلميذ والدّرس، سأهبك غزالة، رصيف الأزهار لم يعد يجيب، الانطباع الأخير)، واللّافت أنّ كلّ نتاجه الإبداعي كُتب إبّان الثّورة، لينتهي مشروعه الأدبي بالصّمت قبل عام من الاستقلال؛ إذ عجز بعد عودته للوطن عن إيجاد قضية جديدة خارج تجربته الباريسية، وبحث عن هويّة بديلة في لغة عربية لم يمتلك ناصيتها، فاختار الصمت لسانا وموقفا.

انفتحت الرّواية الجزائرية منذ مطلع القرن العشرين على أسئلة الهويّة والصّراع ضدّ الاستعمار، ثمّ تحدّيات إثبات الذّات بعد الاستقلال، مفرزة اتّجاهات جمالية متباينة، مثّلها رواد كمحمد ديب، ومولود فرعون، وكاتب ياسين، ومالك حداد، وتتّخذ هذه الدّراسة من رواية حداد (الانطباع الأخير) نموذجا تحليليا؛ حيث يتمحور السّرد حول البطل (سعيد)، المهندس المعماري الذي شيّد جسرا رمزيا وماديا يربط بين عالمين غير متكافئين، يسعى فيه المحتل للسيطرة على الأرض وسكانها، وأمام هذا الواقع ترتفع صرخة الرّواية المدوية (الجسر يجب أن يُنسف)؛ في قرار ثوري حاسم يهدف لقطع دابر التّبعية لفرنسا، إنّه أمر الثّورة الذي فاجأ مهندس الجسور سعيد بواجب تخريبه، إلّا أنّ بطلنا يجد صعوبة كبيرة في تقبّل الأمر نتيجة العواطف التي تربطه بهذا الإنجاز، الذي يعدّ تحدّيا علميا وتقنيا رفعه جزائري أنديجان في وجه مستعمِر متعالي.

ولتسليته وتشجيعه وَعَدته الثّورة بالمستقبل المشرق له ولأمثاله (بإمكانك أن تشيّد غيره فيما بعد..)، كما أنّ بطلنا له جسر آخر يربطه بالاستعمار(لوسيا)، وهي جسر أيضا وجب نسفه بتوصية من (مّا مسعودة) أثناء عبورها الجسر خفيفة مثل فكرة تصرخ متطلّعة إلى الهوّة (لن تتزوج فرنسية أبدا)، وفكرة تجنّب الزّواج من فرنسية ليست فكرة عرقية عنصرية، وإنّما ذلك راجع لانعدام التّكافؤ بين الطّرفين، بين من يملك سلطة تحديد الاسم واللّغة والثّقافة، ومن هو عاجز عن حماية هويّته الثّقافية الذّاتية "أتنتظر صبيا؟ سمّه فرانسوا وسيذهب إلى المدرسة في باريس"[29]، فالرّوائي هنا يستنسخ من خلال سرده قصّة واقعية طريفة، وقعت للمناضل الكبير (محمّد الشريف سعدان/ 1895-1948)، هذا المناضل الكبير تزوّج من فرنسية وأنجب منها ولدا، ووقع بين الزّوجين نزاع في اختيار اسم له، فالدّكتور سعدان اختار اسم (صالح) له، بينما زوجته فرانسواز لم ترتض هذا الاسم، واختارت بدلا عنه (موريس)، فسجّل الشّاعر الجزائري الكبير محمّد الأمين العمودي هذه الواقعة الطّريفة في أبيات شعرية ليعتبر بها كلّ جزائري يقول فيها:

"حيّ الطبيب ولا تنس قرينته هو سليمان و(المادام) بلقيس
له غلام أطال الله مدّته تنازع العرب فيه والفرنسيس
لا تعذلوه إذا ما خان أمّته فنصفه صالح والنّصف موريس"[30]

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 356–374	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

ليعوّض السّرد بطلنا عن حبّ الآخر بحبّ (مليكة) ابنة الجزائر التي ترمز للوطن والأرض "أحببتك مذ كنت صغيرة "[31]، وفي هذه اللّحظة الفارقة تتفجّر الأنا المقاومة للبطل، رافضة كلّ أشكال السّيطرة والامتهان، لتنخرط بعدها في العمل النّضالي الثّوري لتحقيق الحرّية والاستقلال.

وقد كشف السّرد عن زيف الحب المشروط الذي يساوم على الهويّة؛ فـــ(لوسيا) أحبّت (سعيد) وأبغضت وطنه، لتنهي حياتها رصاصة طائشة قضت رمزيا على تماهي (الأنا) مع المستعمِر الذي فرض سلاما مزيّفا، وأمام هذا التّحول، عاش (سعيد) تمزّقا وجوديا بين عاطفته وضريبة الانتماء، لينتصر في النّهاية الواجب الوطني الدّافع لحمل السّلاح؛ فيلتحق بالثّورة مستشهدا في الجبال، ليُسدل السّتار على مشهد تراجيدي يغطي فيه بوزيد وجه الشّهيد بوشاح نسجته أمه.

تظلّ الكتابة الرّوائية قاصرة عن مطابقة الواقع التّاريخي مهما بلغت فنيتها؛ إذ تظل الذاّكرة محدودة والخيال فضفاضا، ورغم تسخير مالك حداد قلمه للانتصار للثّورة الجزائرية، إلّا أنّه يعترف بمحدودية أدواته الإبداعية في تصوير عمق الاضطهاد، مقدما اعتذاره الأكاديمي للشّهداء لعدم قدرة الكلمات على مجاراة تضحياتهم:

"ولنتذكّر ما يلي:

حين كنت أجرّ منفاي، أو أجرّ جثّتي

حين كانت عيناي تريانك دون أن أقابل عينيك

إذا تصفّحت جريدتي قبل أن أفتح بريدي بكثير

إذا كففت بإعجابي بحنان الورد

إذا أنا أنشدت من بعيد النّغمة التي يسمعون

إذا كان قلبي غائبا حين يهمّ قلبك بالتّغني بي

أنصت وسأناديك

فلتتذكّر معي أنّني متّ معهم"[32]

ولذلك يرى مالك حدّاد أنّه من الخطأ تحميل الكاتب أكثر ممّا يجب، ومن التّجنّي أن يعتقد أيّ قارئ تجاه كاتب ما، بأنّه ضروري للحياة ولاستمرارية المجتمع، فهذا اعتقاد زائف حتّى وإن فضّله البعض من الكتّاب، فالكاتب إنسان عادي وبدائله كُثُر، ووظيفته محصورة في شهوده وشهادته على التّاريخ، ولا دخل له في صناعته، فلا يوجد إنسان عاقل يدّعي أنّ وجوده سبب في وجود الغير، فما من قطرة ماء واحدة تستطيع وحدها أن تجعل الكأس تفيض، وحتّى يحدث هذا يلزم تعدّد القطرات "فالوطني لا يصنع الوطن، لكنّ الوطن يتيح الوطنية للوطنيين، وما عدا هذا فإنّه ادّعاء، وحرب المقاومة التي لا يُنظر إليها من هذه الزّاوية ليست إلّا تمرينا سهلا في بيان الأسلوب"[33]،

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 356–374 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

ومع ذلك تبقى الكتابة وجه من أوجه المقاومة والكفاح والرّد ضدّ الغازي، فصاحب القلم لا يقلّ شأنا عن حامل البندقية وماسك المحراث، فالأدباء في فترات الثّورات هم شهود مزعجون للاستبداد والاستعمار.

وقد تأتي اللّحظة التي يقرّر فيها الكاتب أن يصمت، أن يتوقّف عن الكتابة، فكاتبنا صمت عن الإبداع وتوقّف عن الكتابة، لكن حين يصمت الشّخص تستمرّ الفكرة في التّوسع، ويستمرّ الكلام بطريقة مغايرة "في بعض فترات حياتهم يتحدّث النّاس ليقولوا شيئا، وعندما يسكتون يتكلّمون أيضا، الثّرثرة هي مزية العاطلين والسّعداء"[34]، فاللّغة الفرنسية شكّلت في مخيّلة مالك حدّاد لغة السّجن والسّجان، ارتفعت سدّا منيعا بينه وبين أغلبية الشّعب الجزائري الذي لا يتقنها "اللّغة الفرنسية حاجز بيني وبين وطني، أشدّ وأقوى من حاجز البحر الأبيض المتوسط... وأنا عاجز عن أن أعبّر بالعربية عمّا أشعر بالعربية.. إنّ الفرنسية لمنفاي"[35]، فموقف مالك حدّاد كان جليا تجاه اللّغة العربية والهويّة الثّقافية الوطنية، فهو يعتبر سياسة التّعليم التي انتهجها الاستعمار الفرنسي في الجزائر، طريقة لتحويل الجزائري الذي يجتاز شهادة البكالوريا فرنسي جديد يُضمّ إلى خدمته "لن نكلّ من التّرديد، بأنّ قوسا مفتوحا لخنق الثّقافة والسّياسة ممتد منذ 124 سنة، من الخامس من شهر جويلية 1830 من كسوف شمس الاستعمار، حتّى الواحد من شهر نوفمبر 1954، لن نكلّ من التّرديد بأنّ للإسلام ودعاته مكانة كبيرة في الجزائر، يرجع إليها الفضل في الحفاظ على آخر المعالم الأصلية التي لم ينل منها التّشويه، على خصوصيته اليومية، أصالته الثّقافية، وأخيرا على ما تبقى من وحدة عضوية وتراصٍّ في عباراته التّأسيسية: اللّغة"[36]، فمالك حدّاد أعلن من بداية الاستقلال عن توقّفه عن الكتابة باللّغة الفرنسية كخيار شخصي يعكس قناعةً وطنية بالانتماء إلى حضارة محدّدة لسانها عربي وثقافتها عربية، فتوظيف الكتابة بالفرنسية من منظوره لم يعد مبرّرا في الجزائر المستقلّة.

ويُمثّل خطاب الهويّة في كتابات مالك حداد الغاية الأسمى لمشروعه الفكري؛ لإيمانه بأنّ إعادة بناء الذّات الجزائرية هي الحصن المنيع في وجه التّدمير الكولونيالي الممنهج، الهادف لفرض الفرنسة الثّقافية والأيديولوجية، برغم نزعات الاستعلاء والعنصرية التي جابهت (الأهالي)، فقد دفعه يقينه الوطني إلى إعلان الانتماء المطلق للجزائر أرضا وشعبا، انطلاقا من رؤية فلسفية تؤكّد أنّ الفرد لا يحقّق وجوده التّاريخي إلا في عمق مجموعته الوطنية "إنّي كالآخرين، إنّي مع الآخرين، أفهم خبزهم وبندقيتهم، أتحدّث عن أمّي كما يتحدّثون عن أمّهم، أقبّل أبنائي كما يقبّلون أبناءهم، أخاف السّلب كما يخافونه، إنّي كالآخرين، كلّ شيء يربطني بهم، كلّ شيء يجعلني مماثلا لهم، أنا لست سوى معهم، اختارت الشّجرة غابتها، العلامة الموسيقية سمفونيتها، الوحيدون الذين أستطيع أن أفهمهم فعلا، هم أهلي"[37]، وفي المقابل تطرّق مالك حدّاد إلى فعل الخيانة " كلمة خائن مثلا، أين تبدأ الخيانة وأين تنتهي؟ في التّكافل الذي نتجنّبه مع شعب في الحرب؟ في التّعاون الذي نقدّمه للعدوّ؟ أو أنّ الخيانة ليست أكثر مكرا، ألا تتزلق بحيلة وتلج بالنا؟ أليست نقصا في المروءة، إعطابا واعٍ ومقصودا أو شكا، هذا الشّك الكريه، الضّعيف

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 356–374 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

اللّاصق، الذي لا يكسر، كبقعة صدأ كرفض؟ أن تخون معناه أن تشكّك في حقيقة الآخرين"[38]، فتتجلى ذروة هذا الاستلاب في التّماهي الأعمى مع أيديولوجيا المستعمِر، والاندماج في منظومته الثّقافية، والتّغني الأجوف بشعارات الثّورة الفرنسية لعام 1789؛ وهي مبادئ الحرية والمساواة التي صِيغت للاستهلاك الدّاخلي في باريس، بينما وُظِّفت وراء البحار كغطاء أخلاقي مزيّف لاستعمار الشّعوب، واستتراف خيرات الجزائر، وتجريد إنسانها من حقوقه الوجودية.

فشريف أحد شخصيات رواية (الانطباع الأخير) ومَن شاكله يعتقدون أنّ الجزائر لا يمكنها في حال نيل استقلالها، أن تسيّر إدارتها وستحتاج إلى إطارات فرنسية متخصّصة "شريف البربري الصّغير الذي ركض تحت أشجار الزّيتون والتّين القبائلي، أصبح شريف فرنسيا متوسطا، لقد زعم أنّ القبائل لا يشبهون العرب، لقد زعم أنّ الحشيش سينبت في ساحة الحكومة بمجرّد أن تنال الجزائر استقلالها"[39]، فالكلام الذي أجراه الرّوائي على لسان هذا الشّريف مرجعه الاستعمار الفرنسي بعدما يئس من ترويض الشّعب الجزائري وقبوله بسياسة الأمر الواقع، فكان كلّما أخمد ثورة جهادية في منطقة ما تفجّرت له أخرى، فآمن المحتلّون بأنّ مقاومة الجزائريين المسلمين تجري في دمائهم وتقف حائط صدٍّ ضدّ توسعاتهم، فعملوا على بثّ سياسة فرّق تسد من خلال نشر خرافة تمايز الأعراق بين الجزائريين لشقّ صفهم، فظهرت خرافة البربر الذين يتميزون بطواعية أكثر من العرب في قبول أفكار الحضارة والتّقدم، والقبول برسالة الاستعمار التمدينية "يُستخدم مصطلح فولغاتا البربر وخرافة القبائل، في تعريف اتّجاه فكري يمجّد القبائل ويشوّه سمعة العرب؛ وقد وضعه شارل روبير أجرون Charles-Robert Ageron ، وهو أوّل مؤرّخ فرنسي يدرس مواقف الفرنسيين من القبائل في الجزائر"[40]، ومن ثمّ بحسب شريف ومن يقاسمه هذا الطّرح لا جدوى من الاستقلال، بل وصل تماهيه مع المستعمِر اعتبار نفسه أنّه ليس كباقي سكان الجزائر العرب، فلا يصادق إلّا الكولون، فصديقه السّيد (رولان) لم يكن في الظّاهر يختلف عن الجزائريين، فهذا الرّجل كان يتباهى بانتمائه لهذا الوطن وبصداقته للعرب وتعاطفه مع خادمته، بل كان على استعداد أن يعلّم ابنته (نيكول) اللّغة العربية، تعرّف عليه (شريف)، وكان يدعوه لمقاسمته طبق الكسكسي الذي تعدّه زوجته، لكنّه فاجأ الجميع بزيفه، فالكثير من الأقنعة أسقطتها حرب التّحرير.

لقد لُخّص التّاريخ الحقيقي للكولونيالية المدّعية حبّ الإنسانية على لسان (رولان)، بدلا عن إحساسها الزّائف الذي كانت تحاول أن تبتزّ به الجزائري "قبل أن تُمسّ شعرة مني سأقتل ثلاثة أو أربعة"[41]، أيُّ مساواة وأيّ أخوة وعدالة اجتماعية، بل أيُّ جور هذا الذي يُضحى فيه بثلاثة أو أربعة من الجزائريين لأنّ شعرة من السيّد (رولان) قد مُسّت، وهذا تأكيد على أنّ الاستعمار لم يتعامل مع الجزائريين باعتبارهم ذواتا إنسانية، ولولا نوفمبر الذي كشف الأقنعة ومسح كلّ المساحيق لظلّت الكولونيالية تتلاعب بعواطف السّذج من بعض الجزائريين "ولكن إذا كان التّاريخ في هذا الصّباح قد تنكّر في زيِّ السّيد رولان، فالسّيد رولان ارتدى ملابسه الحقيقية في ساعة

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 356–374 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

حالة الطّوارئ، كفّ عن الاحتيال"[42]، وبالتّالي فموقف شريف الرّافض للحرب، لم يكن بسبب البحث عن مصالحه الشّخصية فحسب، بل ينبع أيضا من اقتناع شخصي مصدره سياسة فرنسا القائمة على مبدأ فرّق تسد، والتي تتجلّى بوضوح في حوار(سعيد) مع بعض الفرنسيين "ولكنّكم انتم يا سعيد، أنتم لستم كالآخرين، معكم يمكن أن نتحدّث، يمكن أن ندعوكم، ...معكم يمكن أن نتفاهم"[43]، إلّا أنّ ردّ سعيد كان حاسما، إنّه يرفض التّفرقة بين الجزائريين، هذا الخطاب الرّافض يؤسّس لفشل سياسة فرنسا في الجزائر.

وتتجاوز إشكالية الهويّة في الرّواية الجزائرية الطّرح السّردي العابر، لتتشكّل كنسق ثقافي وحضاري يحدّد كينونة الذّات وخصوصيتها في مواجهة (الآخر) الاستعماري، وهو خطاب يعكس صراعا جدليا بين (الأنا) الوطني و(الآخر) الفرنسي، متّخذا من الثّورة التّحريرية مرجعية تاريخية وبنيوية راسخة، أين تتجسد هذه الجدلية في رواية (الانطباع الأخير)، التي تفكّك أزمة الذّات المغتربة (سعيد) في ظلّ اندلاع الثّورة، وتكشف حجم التّمزّق الهويّاتي أمام سياسات الاحتواء الثّقافي والفرنسة الممنهجة.

لتتتبع الرّواية مسار التّحوّل السّيكولوجي للذّات الاغترابية ممثّلة في البطل (سعيد)، الذي عاش مستقرا في كنف المجتمع الكولونيالي، مستمتعا بمهنته وعلاقته العاطفية مع الفرنسية (لوسيا)، دون أيّ اهتمام بالفعل الثوري، بيد أنّ طلب الثّوار منه تقديم مخطّطات لتدمير الجسر، فجّر داخله صراعا قيميا حادا أوقظ ضميره الوطني؛ فبات ممزّقا بين رفاهية العيش المهادن وواجب الانتماء للأرض، وقد أدى هذا التّجاذب إلى تشظي (الأنا) وتعميق اغترابه النّفسي، ليجد نفسه في مواجهة أزمة هويّة مركّبة، تتقاطع فيها أصوله الجزائرية المنسية مع مواطنته الفرنسية الممنوحة، وهو مأزق هووي لم يختبره من قبل أثناء انصهاره في بيئة المستوطنين، فالهويّة "ظاهرة نفسية اجتماعية تقع عند نقطة التّقاطع بين معرفة الذّات من طرف الإنسان نفسه ومن طرف الآخرين، وهذا يعني أنّها لا تنفصل عن الثّقافة التي تتغذّى عليها محقّقة الهويّة الثّقافية، وما تتضمّنه الثّقافة من عادات وأنماط سلوكية وقيم ونظرة إلى الكون والحياة"[44]، فالوعي بالذّات عنصر مهم في رسم الحدود مع الآخر.

وقد أسهم الوعي السّياسي بضرورة الثّورة على المستعمِر، في بلورة رؤيا أكثر وضوحا فيما يخص العلاقة بين ألانا والآخر، فـــــــ "حين يطغى إحساس ألانا بظلم الآخر وهيمنته تبادر إلى الدّفاع عن نفسها خشية الذّوبان، فتقوّي انتماءها إلى الجماعة وتتماهى بها من أجل الحصول على الاعتراف ومواجهة الإقصاء أو المسخ الذي هو الموت، لذلك تبحث عن الهويّة التي تتميّز بها عن الآخر المختلف، وتجمعها بمن يأتلف معها كي يزداد إحساسها بكينونتها"[45]، فسؤال (روبير) لـــ(سعيد) في الرّواية بخصوص وطنيته جعله يبحث عن هويّته ويتساءل عن انتمائه، بعدما صار غريبا عن مجتمعه "لا أدري إن كنت وطنيا، ما أعرفه وأعرفه جيدا أنّي جزائري، بل إنّي أخاف أن أكون قد أصبحت شيئا آخر"[46]، فأدرك (سعيد) استحالة ردم الفجوة مع المحتل، أمام تصاعد همجية الآلة الاستعمارية، التي استباحت الإنسان الجزائري بالتّعذيب، والاغتيالات، والمحتشدات القسرية؛ وهي فظائع رسّخت

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 356–374 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

قناعة جمعية بأن الحرية هي البديل الوحيد للظّلم بعد أن خرج المارد الثّوري من عقاله"آن الأوان ليلتحق كلٌّ بطائفته"[47]، فذروة السّرد قادت (سعيد) إلى حتمية الانحياز التّاريخي وإعلان موقف حاسم.

ويرتبط سؤال الهويّة هنا جدليا بالعلاقة بين (الأنا) و(الآخر)؛ إذ يعمل الاستعمار على سحق الذّات المستعمَرة وتجريدها من كينونتها، ومن هذا المنطلق، بدأ مأزق الهويّة يؤرّق (سعيدا) بفعل الاحتكاك المباشر مع المحتل، الذي تحوّل من شريك تعايش، إلى مهدد وجودي يفرض الانحياز "إنّ المرء لا يدرك أهمّية هويّته إلّا في لحظة مأزومة يواجه فيها المختلف، عندئذ يرتدّ إلى مكوّناته الأصلية التي تمنحه الإحساس بوجوده، أي بتميّزه واختلافه عن الآخر"[48]، فقضية الهويّة يعاد طرحها عند الإحساس بتهميشها أو اختزالها، لذلك يحسم (سعيد) أمره مع الجهة التي كان لا بدّ له من الانضمام إليها من البداية، فتنصهر ذاته في الجماعة وتتماهى معها، ويبدأ بالإنصات لنداء الواجب الوطني فيندمج مع إخوانه الثّوار في مهمّتهم ضدّ المستعمِر، فيطلعهم على المعلومات التي تمكّنهم من تهديم الجسر الذي استغلّه الاستعمار في العبور ومرور الدبّابات إلى الجهة الأخرى، بغية الاستيلاء على القرى والمداشر وتدميرها، وبهذا يكون قد ساهم في الوقوف ضدّ الآخر وتصفيته، الأمر الذي جعله يتيقّن من هويّته "من الآن فصاعدا لن تمرّ مواكب الموت من هذا الطّريق"[49]، وهو الفعل الثّوري الذي حسم يقينه الهويّاتي وأنهى اغترابه النّفسي.

لقد اكتملت هويّة الانتماء عند (سعيد) وتشبّعت بروح الوطن، فالجسر المؤدّي للجزائر وشعبها يجب أن يخرّب بالرّغم من التّضحيات التي بذلها هذا الشّعب من لحمه ودمه لتشييده، ولكن أمام الغاية الكبرى، غاية التّحرّر والاستقلال تهون كلّ التّضحيات، فالجسر الذي كان سعيد يفتخر ببنائه، تحوّل في لحظة معيّنة أيضا إلى شخصية لها دور في دعم الثّورة الجزائرية، وتسعى أيضا للمساهمة في دحر الاستعمار "ربّع الجسر يديه على قدره اللّامجدي، سيعرف التّاريخ لماذا لم يعد جسرا، لقد سقط هو الآخر في ميدان الشّرف"[50]، لقد استشهد الجسر مثله مثل بقية الشّهداء وقال كلمته، فهو يعلم أنّ الكولونيالية ما شيّدته لخدمة الأهالي، وإنّما فعلت ذلك لإحكام قبضتها على المدينة وسكّانها، لجعله ممرّا لدباباتها وجنودها وثقافتها "لن تمرّ الدّبابات على جسر سعيد، وجسر سعيد يقول: سأنتحر بإطلاق رصاصة على رأسي"[51]، ففي ذروة الفعل المقاوم، تحوّل الجسر من ممر للدّبابات والجنود إلى شريك في معركة التّحرير، مطلقا بانهياره صرخة الرّفض الأخير.

كما اتّضح الأمر ذاته لـــــ(سعيد) من خلال تفسير تلك العلاقة التي ربطته بـــلوسيا، أين انكشفت الفجوة التي تفصل بينهما، فـــلوسيا رغم أنّها كانت تكنّ مشاعر الحبّ لـــسعيد، إلّا أنّها كانت تكره بلد سعيد، شأن كلّ المعمّرين الفرنسيين الذين يسعون للظّفر بخيرات البلد مدركا أنّها علاقة عابرة لن يكتب لها النّجاح، نشأت في ظروف استثنائية بين طرفين غير متكافئين "عندما اندفعت السّفينة، عندما أصبح الوريد باخرة، لمّا غدا جبل

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 356–374	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

الوحش بعيدا جدا عن الأرض الفرنسية، أدرك سعيد بأنّه اختار الآن، اختار الرّسو في ضفّة أخرى"[52]، وبهذا يكون سعيدا قد فتح صفحته الجديدة التي يرى فيها مستقبل وطنه، متجاهلا بذلك الماضي الذي خطّه المستعمِر، ليتحدّد مسار نهاية أحداث القصّة باسترجاع الهويّة والوطن، هنا يدرك (سعيد) الاختلاف في تذكُّر ما قاله ألبير كامو في أحد مقالاته "آن الأوان، ليلتحق كل واحد بطائفته"[53]، بوصفها الحد الفاصل بين الذّات الوطنية والآخر الاستعماري.

4. الخاتمة:

يُعدُّ الأدب المرتكز المؤسّساتي الأبرز لامتلاك ناصية اللّغة وتوجيه مدخلاتها؛ باعتبارها الرّكيزة البنيوية المنظمة للمدركات البشرية الكبرى، فاللّغة في التّحليل الأكاديمي تتجاوز بُعدها الاتّصالي والتّفسيري المجرّد، لتتحوّل إلى البنية المركزية لصياغة الفكر، وتشكيل المخيال الجمعي، وضبط المنظومة الوجدانية، وهي أبعاد حيوية تتخلّق وتتطوّر عبر الأجناس الأدبية والفكرية الرّصينة.

ومن هذه المقاربة، تعمد الإمبراطوريات اللّغوية إلى بسط هيمنتها على هذا الفضاء اللّساني، وهو ما تجسّد تاريخيا في السّياسة اللّغوية والتّعليمية للاستعمار الفرنسي بالجزائر، إذ ارتكزت تلك المنظومة الكولونيالية على استراتيجية الفرنسة الشّاملة، لخلخلة البنية الهويّاتية للمجتمع الجزائري، تصفية للمقاومة وتمهيدا للهيمنة العسكرية والسّياسية والاقتصادية الفاعلة، وقد تكاملت هذه الهندسة الأيديولوجية عبر مسارين تلازميين: اختلاق فرز إثني يزرع بذور الشّقاق الدّاخلي بين أبناء الوطن الواحد، وعزل الجزائر رمزيا عبر قطع روابطها الحضارية والتّواصلية مع عمقها العربي والإسلامي.

وإذا ما تأملنا نشأة الرّواية الجزائرية المكتوبة باللّسان الفرنسي، نجدها وليدة تضافر عوامل سياسية واجتماعية فرضتها البنية الكولونيالية، عدائية التّوجه تجاه منظومة التّعليم الوطنية؛ إذ شنّت الإدارة الاستعمارية حربا ممنهجة لطمس معالم الهويّة العربية الإسلامية عبر حظر تعليم اللّغة العربية، ومحاربة الكتاتيب القرآنيّة، وإغلاق الزّوايا، بالتّوازي مع رعاية الحملات التّبشيرية الهادفة لتقويض مقوّمات الشّخصية الوطنية؛ وفي المقابل، أسّست السّلطات الاستعمارية المدارس الفرنسية المختلطة، لضمان تمثيل نخبوي جزائري ضئيل ومحاصر بغالبية من المستوطنين، مع تسويق اللّغة الفرنسية كأداة حصرية للحداثة والارتقاء الحضاري، بغية هندسة أجيال مستلبة ترى في الوجود الكولونيالي مخلصا وطريقا وحيدا للتّقدم والمدنية.

ولا يُعدُّ طرح ثنائية اللّغة والهويّة في السّوسيولوجيا الثّقافية للجزائر المعاصرة مسألة طارئة، بل يُمثّل امتدادا لإشكالية بنيوية حظيت بزخم من المقاربات البحثية، منذ تبلور الوعي الإصلاحي إبّان الحركة الوطنية، وتعمّقت مأزقيتها غداة تشكّل الدّولة الوطنية في مطلع ستينيات القرن العشرين، وتتحرّك هذه المسألة اللّسانية في التّحليل الأكاديمي بوصفها رأس مال رمزي مركّبا يتجاوز الوظيفة التّواصلية، ليتحوّل إلى حلبة صراع وتنافس محتدم بين

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 356–374	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

مختلف الفاعلين الاجتماعيين، وأداة للاستقطاب الأيديولوجي والمنافسة السياسية حول صياغة ماهية مشروع المجتمع.

وفي ظل تاريخية غياب رؤية حضارية جامعة، وقصور الأطر السّياسية عن صياغة مشروع وطني متكامل يؤسّس لأرضية عقد اجتماعي صلب، استمرّ سجال الهويّة واللّسان مستعرا بين تيارات النّخبة الجزائرية (الفرانكوفونية والتّعريبية)؛ متأرجحا بين قنوات الحوار المعرفي تارة، ومزالق التّجاذب الحاد والابتذال السّجالي تارة أخرى، وقد وفّرت هذه البيئة المنقسمة مناخا وظيفيا للمشروع الكولونيالي، الذي نجح عبر قنواته التّغريبية في رعاية فئة من الذّوات المستلبة التي تبنّت طروحات المحتل، وتحوّلت تاريخيا إلى كتل وسيطة تبثّ عوامل الفرقة داخل الجسد الاجتماعي الواحد.

ومع ذلك، فإنّ تعميم حكم الاستلاب على خريجي المنظومة التّعليمية الفرنسية يفتقر إلى الدّقة المنهجية؛ إذ يكشف الاستقراء التّاريخي عن وجود استثناءات لنخب فكرية وعلمية، ظلّت مشبّعة بالرّوح الوطنية ومتمسّكة بالمقوّمات الهوياّتية الأصيلة للجزائر، على الرّغم أنّ الإدارة الاستعمارية لم تؤسّس تلك المدارس، إلّا لإنتاج ذوات ممسوخة وهشّة وظيفيا لتسخيرها في خدمة استدامة نفوذها، إلّا أنّ مخرجاتها أفرزت طليعة متمرّدة كانت **عصية على التّدجين والاستيعاب**، إذ تميّزت هذه النّخبة الوطنية بما أسماه مالك بن نبي (عدم القابلية للاستعمار)، متسلّحة في كفاحها السّياسي والفكري بعقيدة الشّيخ عبد الحميد بن باديس الثّابتة ومبدئها الرّاسخ (إن الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت).

5. الهوامش:

[1]. كازانوفا باسكال: الجمهورية العالمية للآداب، 2002، ط1. القاهرة، المجلس الأعلى للثّقافة، ص 137

[2]. لورسن بتريشيا لورسن: هويّات استعمارية (الصّور النّمطية والتّحيّز والأعراق في الجزائر المستعمرة)، 2022، دط. فرنسا، دار الأمير للنّشر والتّوزيع والتّرجمة، ص19

[3]. الطّمار محمد: تاريخ الأدب الجزائري، دت، دط. الجزائر، الشركة الوطنية للنّشر والتّوزيع، ص16

[4]– لورسن بتريشيا: هويّات استعمارية (الصّور النّمطية والتّحيّز والأعراق في الجزائر المستعمرة)، ص 37

[5]. الأشرف مصطفى: الجزائر الأمّة والمجتمع، 2007، دط. الجزائر، دار القصبة للنّشر، ص276/275

[6]. كتاب الدّوحة: عام جديد بلون الكرز (مختارات من أشعار ونصوص مالك حدّاد)، 2014، دط. قطر، مجلّة الدّوحة، ص 40

[7]. لورسن بتريشيا: هويّات استعمارية (الصّور النّمطية والتّحيّز والأعراق في الجزائر المستعمرة)، ص42

[8]. سعد الله أبو القاسم: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ج4، 1996، ط1. الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ص 26

[9]. المرجع نفسه، ص 64

[10]. فوكو ميشيل: نظام الخطاب، دت، دط. الجزائر، دار التّنوير، ص5/4

المجلد: (18) | العدد: (03) | السنة: 2026 | صفحات المقال: 356–374 | ISSN :9577 - 1112 | EISSN : 2602 -5388

[11]. ريسلر كميل: السّياسة الثّقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها وحدودها (1830–1962)، ص 49/48

[12]. المرجع نفسه، ص 62

[13]. الأشرف مصطفى: الجزائر الأمّة والمجتمع، ص284

[14]. فانون فرانز: معذّبو الأرض، 2016، ط2. القاهرة، مدارات للأبحاث والنّشر، ص51

[15]. المرجع نفسه، ص171/170

[16]. الودغيري عبد العلي: لغة الأمّة ولغة الأم (عن واقع اللّغة العربية في بيئتها الاجتماعية والثّقافية، دت، دط. لبنان، دار الكتب العلمية، ص38

[17]. كولماس فلوريان: اللّغة والاقتصاد، 2000، دط. الكويت، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، ص35/34

[18]. المنجرة المهدي: الحرب الحضارية الأولى، 1995، ط1. مصر، مكتبة الشّروق، ص154

[19]. بلقزيز عبد الإله: الفرنكوفونية (أيديولوجيا، سياسات، تحدٍّ ثقافي–لغوي)، 2011، ط1. بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ص18

[20]. المرجع نفسه، ص29

[21]. المرجع نفسه، ص42

[22]. ركيبي عبد الله: الفرنكوفونية مشرقا ومغربا، ص98

[23]. المرجع نفسه، ص119/118

[24]. إبراهيم عبد الله: الكتابة والمنفى، 2012، ط1. بيروت، المؤسسة العربية للدّراسات والنّشر، ص298

[25]. ركيبي عبد الله: الفرنكوفونية مشرقا ومغربا، ص119

[26]. كتاب الدّوحة: عام جديد بلون الكرز (مختارات من أشعار ونصوص مالك حدّاد)، ص 108

[27]. المرجع نفسه، ص107

[28]. المرجع نفسه، ص 130

[29]. حدّاد مالك: الانطباع الأخير، دت، دط. الجزائر، منشورات الاختلاف، ص27

[30]. بن قينة عمر: المشكلة الثّقافية في الجزائر (التّفاعلات والنّتائج)، 2000، ط1، الأردن، دار أسامة للنّشر والتّوزيع، ص35

[31]. حدّاد مالك: الانطباع الأخير، ص46

[32]. كتاب الدّوحة: عام جديد بلون الكرز (مختارات من أشعار ونصوص مالك حدّاد)، ص26/25

[33]. حدّاد مالك: ليس في رصيف الأزهار من يجيب، 1999، دط. القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثّقافة، ص32

[34]. حدّاد مالك: الانطباع الأخير، ص 8

[35]. حدّاد مالك: سأهبك غزالة، 1968، دط. تونس، الدّار التّونسية للنّشر، ص ½

[36]. كتاب الدّوحة: عام جديد بلون الكرز (مختارات من أشعار ونصوص مالك حدّاد)، ص 112

[37]. حدّاد مالك: الانطباع الأخير، ص 84

[38]. المرجع نفسه، ص 71/70

[39]. المرجع نفسه، ص 48

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 356–374	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

[40]. لورسن بتريشيا: هويّات استعمارية (الصّور النّمطية والتّحيّز والأعراق في الجزائر المستعمرة)، ص 47

[41]. حدّاد مالك: الانطباع الأخير، ص 49

[42]. المرجع نفسه، ص50

[43]. المرجع نفسه، ص 84

[44]. الخليل سمير: دليل مصطلحات الدّراسات الثّقافية والنّقد الثّقافي (إضاءة توثيقية للمفاهيم الثّقافية المتداولة)، دت، دط. بيروت، دار الكتب العلمية، ص 315

[45]. حمود ماجدة: إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، 2013، دط. الكويت، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، ص21

[46]. حدّاد مالك: الانطباع الأخير، ص 21

[47]. المرجع نفسه، ص 42

[48]. حمود ماجدة: إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، ص13

[49]. حدّاد مالك: الانطباع الأخير، ص 109

[50]. المرجع نفسه، ص109

[51]. المرجع نفسه، ص 30

[52]. المرجع نفسه، ص 96

[53]. المرجع نفسه، ص 42

6. قائمة المصادر والمراجع:

1. المصادر:

1. مالك حدّاد،(د.ت)، الانطباع الأخير، تر السّعيد بوطاجين، منشورات الاختلاف، دط، الجزائر.

2. مالك حدّاد، (1968) ، سأهبك غزالة، تر صالح القرمادي، الدّار التّونسية للنّشر، دط، تونس

3. مالك حدّاد، (1999) ، ليس في رصيف الأزهار من يجيب، تر ذوقان قرقوط، الهيئة العامة لقصور الثّقافة، دط، مصر.

2. المراجع:

1. باللّغة العربية:

1. أبو القاسم سعد الله، (1996)،أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ج4، دار الغرب الإسلامي، الجزائر.

2. المهدي المنجرة، (1995)، الحرب الحضارية الأولى، مكتبة الشّروق، ط1، مصر.

3. سمير الخليل، (د.ت)، دليل مصطلحات الدّراسات الثّقافية والنّقد الثّقافي (إضاءة توثيقية للمفاهيم الثّقافية المتداولة)، دار الكتب العلمية، دط، بيروت.

4. عبد الإله بلقزيز، (د.ت)، الفرنكوفونية (أيديولوجيا، سياسات، تحدٍّ ثقافي–لغوي)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت،

المجلد: (18)	العدد: (03)	السنة: 2026	صفحات المقال: 356–374	ISSN :9577 - 1112	EISSN : 2602 -5388

5. عبد العلي الودغيري،(د.ت)، لغة الأمة ولغة الأم (عن واقع اللغة العربية في بيئتها الاجتماعية والثقافية)، دار الكتب العلمية، دط، لبنان.

6. عبد الله إبراهيم،(2012)، الكتابة والمنفى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت.

7. عبد الله ركيبي، (2009)،الفرنكوفونية مشرقا ومغربا، دار الكتاب العربي، دط، الجزائر.

8. عمر بن قينة، (2000)،المشكلة الثقافية في الجزائر (التفاعلات والنتائج)، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، الأردن.

9. كتاب الدّوحة، عام جديد بلون الكرز (مختارات من أشعار ونصوص مالك حدّاد)، مجلة الدّوحة، دط، قطر، 2014

10. ماجدة حمود، (2013)،إشكالية الأنا والآخر (نماذج روائية عربية)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دط، الكويت.

11. محمد الطّمار، (د.ت)، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دط، الجزائر.

12. محمّد الميلي، (2007)، ابن باديس وعروبة الجزائر، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، دط، الجزائر.

2. المترجمة:

1- باسكال كازانوفا، (2002) ، الجمهورية العالمية للآداب، تر أمل الصبان، المجلس الأعلى للثّقافة، ط1، القاهرة.

2- بتريشيا لورسن، (2022)،هويات استعمارية (الصور النّمطية والتّحيز والأعراق في الجزائر المستعمرة)، تر ابتسام خضرة، دار الأمير للنشر والتوزيع والترجمة، دط، فرنسا.

3. فرانز فانون، (2016)، معذبو الأرض، تر سامي الدروبي، جمال الأتاسي، مدارات للأبحاث والنشر، ط2، القاهرة.

3. فلوريان كولماس، (2000) ، اللّغة والاقتصاد، تر أحمد عوض، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دط، الكويت.

4. كميل ريسلر، (2016)،السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها وحدودها (1830–1962)، تر نذير طيار، دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، ط1، الجزائر.

5. مصطفى الأشرف، (2007) ،الجزائر الأمة والمجتمع، تر حنفي بن عيسى، دار القصبة للنشر، الجزائر.

6. ميشيل فوكو،(د.ت)، نظام الخطاب، تر محمد سبيلا، دار التنوير، دط، الجزائر.